جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإجتماعية

محاضرة: مدخل إلى علم الاجتماع
سنة أولى تكوين أساسي علوم اجتماعية -السداسي الأول-
2022/2021
المجموعة**1** : الأفواج (6.5.4.3.2.1)

د/ بوزار يوسف

1- المفهوم وإشكالية التعريف.

ظهر علم الاجتماع كعلم قائم بذاته مستقلا عن الفلسفة منتصف القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الوقت يحاول العلماء وضع تعريف دقيق لعلم الاجتماع، ولا ينكرون صعوبة ذلك لعدة اعتبارات منها أن علم الاجتماع هو علم حديث النشأة، وذو مواضيع شتى ومتشعبة، كما أنه علم كثير المناهج قليل النتائج على حد تعبير (هنري بوانكريه Henri Poincaré)[1]، لذلك الملاحظ كثرة التعريفات والمفاهيم، والتي نعرض فيما يلي البعض منها محاولين بذلك الإحاطة بالمواضيع التي يتناولها هذا العلم، وتبيان أوجه الاختلاف والاتفاق فيما بينها، والوصول إلى تعريف يمكن أن يكون مقبولا لدى المنشغلين به، وأن يحصر نوعية القضايا والمشكلات التي يتناولها.

[1] Henri Poincaré, **Science et Méthode**, Flammarion , Paris, 1927, PP 12-13.

وقبل ذلك نخوض في التعريف الاصطلاحي لعلم الاجتماع (Sociologie) فقد صاغه (أوغست كونت Auguste Comte) في القرن التاسع عشر ميلادي، وهو مصطلح مزيج من اللاتينية واليونانية، ويتكون من مقطعين: يشير أولهما (Socio) إلى المجتمع، أما المقطع الثاني (logie) إلى العلم[2]، وبجمع هذين الشطرين، يتكون اصطلاح علم الاجتماع.

أما التعريف النظري فهو حسب (كينز بيرك Ginsberg) العلم الذي يدرس طبيعة العلاقات الاجتماعية وأسبابها ونتائجها[3].

أما (زاندن Zandan) ، فيرى أن علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس التفاعل الاجتماعي والذي يتجلى أساسا في التأثير المتبادل الذي يمارسه الأفراد في علاقاتهم المتبادلة[4].

أما (ماكنجي Makinji) وزملاؤه، فيعرف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يدرس النظام الاجتماعي[5].

أما (بارنارد فيلبس Bernard Philips) فقد أوفد تعريفا مؤداه أن علم الاجتماع هو علم دراسة المجتمع[6].

من خلال التعاريف السابقة بمكن أن نلاحظ مدى الاختلاف الحاصل بين علماء الاجتماع في فهمهم لعلم الاجتماع، وبالرغم من أن كل التعريفات تصب في الإطار الصحيح إلا أننا نحاول تقريب وجهات النظر للوصول إلى تعريف أدق وأشمل وجامع لكل التعريفات السابقة.

ويمكننا من خلال التعاريف السابقة أن نحصر العناصر الأساسية التي يدرسها علم الاجتماع.

1- دراسة الظواهر الاجتماعية.
2- دراسة التفاعل الإنساني المتبادل
3- دراسة النظام الاجتماعي.
4- دراسة العلاقات الاجتماعية
5- دراسة البناء الاجتماعي.
6- دراسة المجتمع.
7- دراسة العمليات الاجتماعية
8- دراسة الاعتماد الإنساني المتبادل.

بعد عرض لمختلف المواضيع النى يهتم بدراستها علماء الاجتماع نستنتج أن القاسم المشترك بين كل التعريفات السابقة هو أنها تحتاج إلى تدقيق أكبر يمكن من خلاله تطبيق المنهج العلمي الصحيح لأن العلوم نحتاج إلى مناهج لكي تعطيها صفة العلمية لذلك وجب تدقيق الموضوع الذي يدرسه علماء الاجتماع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يكون الموضوع المدروس قابل لتطبيق المهج العلمي عليه.

---

[2] طلعت إبراهيم لطفي، **مبادئ علم الاجتماع**، بدون دار نشر، الإسكندرية، بدون سنة ، ص 06.
[3] احسان محمد الحسن وعدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار وائل للنشر، ط2، الأردن، 2009، ص09.
[4] محمد عودة، **أسس علم الاجتماع**، دار النهضة العربية، بيروت، بدون سنة، ص 16.
[5] نفس المرجع، ص 17.
[6] نفس المرجع، ص 18.

إن الصفة الأولى الحاصلة لعلم الاجتماع – كغيره من العلوم- هي صفة "العلمية" أي أن موضوعه هو الظواهر الاجتماعية القابلة للتجريب، وهذا ما أكده "دوركايم" حينما قال: "يجب دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء" [1]، ومنه وجب تعريف علم الاجتماع على النحو التالي:

" هو العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية من أجل الوصول إلى نتائج تحلل وتفسر هذه الظواهر".

2- تاريخ علم الاجتماع (من الفكر الاجتماعي إلى علم الاجتماع).

يسجل لنا تاريخ الفكر الاجتماعي ألوانا كثيرة من التفكير الاجتماعي ظهرت في الفكر الشرقي القديم، وهي خلاصة جهود الفلاسفة والمصلحين والحكماء حاولوا جاهدين إرساء قواعد وتعاليم فكرية ودينية واجتماعية لحل الكثير من الأزمات والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي كانت تعصف بمجتمعاتهم، ومن هنا انطلقت طلائع الفكر الاجتماعي في الحضارات الشرقية القديمة كالصين والهند وأرض اليونان، وسنحاول تتبع تطور هذا الفكر العتيق انطلاقا من هذه الحضارات.

2-1- الفكر الاجتماعي الصيني القديم.

مع مطلع القرن الخامس قبل الميلاد بدأ الفكر الاجتماعي الصيني يشهد اتجاهات متباينة حيث يمكننا التمييز بين مجموعة منها، ولا شك أن خصوبة وثراء الفكر الاجتماعي الصيني القديم قد ارتبط بفترة من الاضطرابات الاجتماعية والعنف السياسي، مما أسهم في ظهور محاولات فكرية حاولت فهم التحولات والتغيرات التي مر بها المجتمع الصيني وقتئذ، وسوف نتناول هنا أهم التيارات الفكرية التي تركت تأثيراً بالغاً علي الفكر الاجتماعي الصيني القديم.

أ/ الطاوية:

أسس هذا المذهب الديني لاوتزو "Lao-Tzu "الذي ولد حوالي سنة 600 قبل الميلاد، ولقد ترك "لاوتزو" أفكارا فلسفية عميقة يصعب تفسيرها في بعض الاحيان، وكلمة طاو تعني الطريقة أو أسلوب الحياة، والطاوية هي بالدرجة الأولي طريقة دينية أو مذهب ديني ينطوي علي معاني اجتماعية قوية ، وهي شكل من أشكال عبادة الطبيعة، آمن بها اولئك الذين تعرضوا لاضطرابات اجتماعية وكوارث طبيعية دفعتهم للخضوع لسيطرة الطبيعة، وعلي الرغم من أن الطاوية كمذهب ديني تنطوي علي أفكار متناقضة، إلا أن فكرة " الانسحاب " تعتبر فكرة محورية داخلها.

وتنعكس المعتقدات الطاوية بوضوح في النقوش الصينية القديمة، حيث نجد مظاهر الطبيعة واضحة وذات مكانة أساسية، بينما نجد الحياة الانسانية تحتل مرتبة ثانويه وتميل الطاوية الي تأكيد الفردية كما تميل ايضاً إلى تأكيد فكرة الانسحاب وعدم المواجهة، وذلك أن هذا المذهب يقوم علي مبدأ أساسي هو أن سعادة الفرد في هذه الحياة لا تنبع من كونه عضواً في مجتمع بقدر ما تنبع من كونه فردا بذاته، ومعني ذلك أن الطاوية تنظر إلى النظم الاجتماعية والقوانين بوصفها معوقاً لحرية الانسان وطبيعته الاصلية.[1]

ب/ الكونفوشيه:

عاش كونفوشيوس في الفترة من 551 حتي 478 قبل الميلاد، وهي فترة ليست بعيدة عن الفترة التي عاشها "لاوتزو" مؤسس المذهب الطاوي، إلا أن كونفوشيوس يتميز بأنه قد طرح فلسفه ذات

[1] إعداد جماعة من المختصين، **الإنسان والمجتمع**، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، 1979، ص05.

[1] عزة أحمد الصيام، **تاريخ الفكر الاجتماعي**، مصر، 2012، ص 06.

عناصر وملامح اجتماعية محددة، لقد واجه كونفوشيوس عصراً تميز بالقلق الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي ، وكان من الواضح أن الاضطرابات الاجتماعية والعنف السياسي لم تكن هي الحل النهائي للمشكلات البشرية والاجتماعية التي واجهها المجتمع الصيني في ذلك الوقت.

سعي كونفوشيوس منذ البداية الي تقديم اجابات وحلول للمشكلات التي واجهت التنظيم الاجتماعي الصيني في زمانه، ووجد أن نقطه البداية في أي برنامج اصلاحي اجتماعي تبدأ من الاسرة، فهي في نظره الوحدة الاساسية للمجتمع، وهي التي تتألف منها العشائر والقرى والوحدات الاجتماعية الاكبر، والواقع أن كونفوشيوس كان رجلاً عملياً بقدر ما كان رجلاً ذو توجه فلسفي، فهو لم يزعم أنه قد أتي بأفكار أصيله أو أنه ابتدع تعاليم جديدة، لقد حرص كونفوشيوس على البقاء على أحسن عناصر الماضي مركزاً اهتمامه علي مفاهيم الفضيلة الشخصية المتصلة بالأفراد، ويدور الفكر الاجتماعي لكونفوشيوس حول خمسه علاقات اجتماعية أساسية أربعة منها تنشأ داخل أفراد الاسرة هي:

1. العلاقة بين الاب والابن.
2. العلاقة بين الزوج والزوجة
3. العلاقة بين الاخ واخته
4. العلاقة بين الاسرة والاسر الأخرى.

ويؤكد كونفوشيوس أن طاعة صغير السن لكبير السن يجب أن تكون هي القاعدة الاساسية للسلوك والاسرة في نظر كونفوشيوس هي وحدة اقتصادية مكتفية ذاتياً وتشكل الاساس الاقتصادي للمجتمع . فالكل يعمل من أجل الاسرة والكل منشغل باستقلال الاسرة ودعمها واستمرارها، أما العلاقة الخامسة التي أشار اليها كونفوشيوس فهي تلك التي تنشأ بين الملك والرعية أو بين الحاكم والمحكومين، وهنا نجد كونفوشيوس يؤكد أن طاعة المحكومين للحكام هي شيء ضروري .

لقد عاش كونفوشيوس في ظل مجتمع اقطاعي يتألف من ثلاث طبقات أساسية، الأولي تضم الحكام، والثانية تشمل المتعلمون، والثالثة تتألف من الفلاحين الذين شكلوا الغالبية العظمي من سكان المجتمع الصيني، والذين يجب أن يظلوا في نظر كونفوشيوس فلاحين يدينون بالطاعة للحكام، هنا نلمس فارقاً ملحوظاً بين المذهب الطاوي ومذهب كونفوشيوس، ذلك لأن هذه التعاليم لا تسمح لهم بالتمرد أو حتي المطالبة من أجل تغيير أوضاعهم الاجتماعية، ولذلك فإن فلسفة كونفوشيوس تقوم علي المحافظة على الاوضاع الراهنة ولا تسمح بإحداث التغير الاجتماعي[1] .

لقد تحدث كونفوشيوس عما أطلق عليه الانسان "المتفوق أو المتميز" وما ينبغي أن يتصف به من فضائل، إن هذا الانسان المتميز في نظر كونفوشيوس يجب أن يتحلى بالصفات الفردية الطيبة ، وأن يكون متجهاً نحو المحافظة على أسرته، والابتعاد عن كل ما يهدد الحياة الاجتماعية من صراعات واضطرابات، ولقد صاغ كونفوشيوس قاعدة ذهبية تقول: "لا تفعل للآخرين مالا تحب أن يفعلوه معك " والفائدة أو الميزة المتضمنة في هذه الحكمة تعني أن من يملكون السلطة يظلون قابضين عليها، وأن الخاضعين لها – بما في ذلك الفلاحين – لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً يهدد مصالح .

ج/ موتي 575-525 ق.م:

يعد "موتي" من أكثر فلاسفة الصين القدامى الذين تركوا تأثيراً هاماً في مجال الفكر الاجتماعي بل أن بعض الدراسين يذهبون الي أن ما تركه "موتي" من فكر اجتماعي يكاد يفوق نوعاً وعمقاً كل ما تركه

[1] عبد الهادي محمد والي، **تاريخ التفكير الاجتماعي**، نسخة إلكترونية، مصر، 2006، ص76.

المفكرون الصينيون الآخرون، ولقد نشرت أعمال "موتي" في مؤلف ضخم يضم عده مجلدات بعنوان "الأعمال الأخلاقية والسياسية لموتي"، وتضم أعمال موتي ثلاثة وخمسين مقالا لم يكتبها جميعاً بالطبع ويستهل "موتي" كتاباته بمهاجمة مشكلة الصراع الاجتماعي، حيث أنه لا يعتبر الصراع ظاهرة طبيعية، كما أنه لا يوافق الطاوية على فكرة الانسحاب من المجتمع والعودة إلى الطبيعة، ومن الواضح أن "موتي" قد وجد ان تأكيد كونفوشيوس لفكرة الواجب والالتزام المحدود لم يكن كافيا لذلك نجده يؤكد ضرورة البحث عن أسباب البؤس الانساني وعوامل التفكك الاجتماعي والوصول الي مجموعة من الاجراءات والتدابير العلاجية التي تكفل مواجهتهما. [2]

لقد كان "موتي" رجلاً منطقياً من الدرجة الأولى حتى أن بعض الكتاب يذهبون الي أنه كان سقراط الصين، إذ نجده يحاول اظهار الضعف الذي تنطوي عليه الكونفوشية في مجال التطبيق ذاهباً الى أن الكونفوشيه تميل في نهاية الامر إلى تدعيم الولاء الاسري والحد من امكانية الرؤية السياسية العامة للأفراد ولقد عبر "موتي" عن هذا الموقف حينما أشار إلى أن أتباع كونفوشيوس قد أبدوا اهتماماً بالغاً بالطقوس الاسرية ولم يطرحوا آراء مفيدة حول أساليب الحكم ، مما جعل فكر كونفوشيوس – في نظر موتي – قاصراً وعاجزاً عن مواجهة الحياة الاجتماعية والسياسية في الصين القديمة.

2-2- الفكر الاجتماعي الهندي القديم

ترك الهنود القدامي فكراً اجتماعاً خصباً وإن كان يختلف في ملامحه العامة عن الفكر الاجتماعي الصيني، ويتميز الفكر الاجتماعي الهندي القديم بتأكيد قضية نفي العالم وما يرتبط بها من انعكاسات اجتماعية ، والواقع أن الهند تشكل شبه قارة ضمت منذ تاريخها المبكر سلالات وجماعات عرقيه مختلفة من بينها المغول والأتراك والفرس والأفغان وغيرهم، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا التنوع العرقي علي المعتقدات الدينية التي سادت المجتمع الهندي منذ فترة بعيدة، كالهندوسية والبوذية والبراهميه والإسلام والمسيحية، ولقد تعايشت هذه المعتقدات الدينية داخل المجتمع الهندي منذ فتره بعيده مما انعكس بالتالي علي إنتاج الفكر الاجتماعي الهندي.

والحياة في نظر الهنود الآريين القدامى تتطلب فكراً دينياً يقوم علي التضحية ونفي الحياة ، ذلك أن الموقف من الحياة هو موقف متباين داخلا لحضارات القديمة ، بمعني هل يميل الانسان إلى التكامل مع الحياة والاستمتاع بها ؟ أم يميل إلى الهروب منها والانسحاب عنها إلى عالم آخر ؟ هنا قد نجد حضارة تميل الي تأكيد جانب التكامل ، بينما نجد حضارة أخرى تؤكد جانب الانسحاب والواقع أن الهنود القدامى قد اتخذوا موقفاً معيناً من هذا الاختيار.

حينما وصل الآريون إلى الهند في وقت مبكر حرصوا على تكوين طبقة دينية قوية هي طبقة "البراهما" وقاموا بتقسيم المجتمع الهندي إلى أربع طبقات أساسية وهي حسبهم من وحي الإله نفسه فقد أرادت مشيئته أن ينقسم المجتمع الهندي إلى أربع طبقات[1]:

1. طبقة البراهما وهي طبقة رجال الدين.
2. طبقة الكشترية وهي طبقة المحاربين.
3. طبقة الفيزيا وتضم التجار والحرفيين.
4. طبقة السودرا وهي طبقة العبيد والرق.

---

[2] عزة أحمد الصيام، مرجع سابق، ص 12

[1] إحسان محمد الحسن وعدنان سليمان الأحمد، **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار وائل للنشر، ط2، الأردن، 2009، ص.92

و قد تميز هذا النظام بالانغلاق فلا يمكن للفرد أن ينتقل من طبقة إلى أخرى، كما يميز مفكرو طائفه البراهما بين مراحل معينه يمر بها الانسان:

هناك أولاً : المرحلة التي يتعلم فيها الطفل أصول التربية، وهناك بعد ذلك المرحلة التي يتولى فيها تكوين الاسرة ورعاية الاطفال، ثم هناك مرحلة ثالثه هي مرحلة التقاعد، وهناك أخيراً المرحلة الرابعة التي يمارس فيها الفرد الوحدة والعزلة، وفي أطار فكر فلاسفة طائفة "البراهما" نجد تأكيداً لمبدأ وفكرة تناسخ أو انتقال الارواح، فالرواح النباتات والحيوانات والانسان مرتبطة فيما بينها، كما أن روح الانسان بعد وفاته تتحول وتنتقل من مكان إلى آخر، وأنها تبحث عن الاستيعاب والمكان الملائم في ظل عالم الارواح، وتستطيع الارواح أن تحقق أهدافها وتولد من جديد لأنها باقية على الدوام.

2-3- الفكر الاجتماعي عند الإغريق.

يمثل الفكر الاجتماعي الاغريقي خلال القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد تحولا هاما في مسار الفكر الاجتماعي العالمي، فلقد شكل هذا الفكر نقلة هامة اذا ما قورن بالفكر الاجتماعي الصيني والهندي خاصة مع ظهور الفلسفة السوفسطائية وهم جماعة من المفكرين اتخذوا من العقل والمنطق مصدرا لتفكيرهم وتأملهم في الظواهر الاجتماعية والكونية ورفضوا بذلك الفكر اللاهوتي والميتافيزيقي الذي طبع الفكر الاجتماعي للحضارات التي سبقتهم، كما يعد الفيلسوف الاغريقي سقراط (469-399 ق م) من أكثر فلاسفة الاغريق إسهاما في توجيه الفكر الاجتماعي نحو الواقعية والمنطقية رغم أنه لم يترك أية كتابات خلفه غير أنه كان يلح على ضرورة استخدام الفكر والعقل واحترام قوانين المجتمع، ومات من أجل ذلك، ثم واصل المسار أعظم فيلسوفين شهدتهما أثينا هما : أفلاطون(427- 347 ق م) وأرسطو (384-322ق م) وما يزال كتاب "الجمهورية لأفلاطون" وكتاب السياسة لأرسطو من المصادر الهامة لكثير من التيارات الفكرية التي شهدها العالم مستقبلا.

أ/ أفلاطون(427-347 ق م).

هو تلميذ سقراط وأهم فلاسفة اليونان، ومؤسس أول جامعة في العالم سميت بالجامعة الأفلاطونية، كانت تدرس فيها ثلاثة مواضيع هي: الفلسفة والرياضيات والموسيقى. أما الكتاب الشهير الذي ألفة وهو "جمهورية أفلاطون" فأراد من خلاله أن يضع الأسس المثالية التي يجب أن يرتكز عليها المجتمع الإنساني، وخصوصا العدالة الاجتماعية التي يجب أن تسود في المجتمع، ويمكن تلخيص آراء أفلاطون فيما يلي[1]:

1. كان أول من قال بأن المجتمع مكون من أنظمة متصلة بعضها ببعض مثل النظام السياسي، الاقتصادي، الديني...وأي تغير في نظام منها يؤدي إلى تغير باقي الأنظمة.
2. قسم أفلاطون في كتابه الجمهورية المجتمع إلى ثلاث طبقات متمايزة وهي طبقة الإداريين والطبقة العسكرية وطبقة العمال.
3. يقول أفلاطون في كتابة بأن العدالة الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال التقسيم الاجتماعي والتخصص فيه حيث تتولى كل طبقة من الطبقات المذكورة مهاما معينة وتكمل إحداها الأخرى.

لقد كان كتاب الجمهورية بالنسبة للتفكير الاجتماعي اليوناني بمثابة الخلق الذهني الرائع، كما كان أروع ما صدر عن الفكر الاجتماعي القديم فلقد هاجم أفلاطون في هذا الكتاب الديمقراطية الفوضوية التي قتلت أستاذه سقراط، وحاول أن يقيم مجتمع المدينة الفاضلة[1].

والمجتمع في نظر أفلاطون ليس مجرد تجمع مؤقت، ولكنه تنظيم اجتماعي شامل يشارك فيه الأفراد، وبمرور الوقت تتشكل حاجات المجتمع ويتحدد بناؤه الداخلى، وأفضل المجتمعات هو ذلك الذى

---

[1] إحسان محمد الحسن، مرجع سابق، ص 95.

[1] محمد اسماعيل قباري، مرجع سابق، ص 40.

يقترب قدر الامكان من طبيعة، ويذهب أفلاطون الى أن المجتمع الطبيعى الأول كان يتألف من عدة أسر مجتمعه معا بقصد اشباع حاجاتها الأولية كالمأكل والملبس والمسكن، ولكن الانتاج ما لبث ان ازداد وأصبح أكثر مرونة بفضل تطبيق نظام تقسيم العمل، الذى أدى الى تباين المهن والحرف كالرعي والحدادة والنجارة [2].

ب/ أرسطو(384-322ق م)

كان أرسطو من أكبر المفكرين والفلاسفة الإغريق وكان مضطلعا في عدة حقول دراسية منها الأدب والفلسفة والسياسة والاقتصاد والقانون والرياضيات والفيزياء والكيمياء، وكان أحد تلامذة أفلاطون وتخرج من الجامعة الأفلاطونية، إلا أنه كان منتقدا لآراء أستاذه أفلاطون، وأفكاره التي تتعلق بالفكر الاجتماعي تدور حول نشأة المجتمع ومقوماته، وأول نقطة عالجها أرسطو هي كيفية تكوين الجماعات السياسية، كما ركز على أهمية الأسرة في المجتمع فهي تعمل على إشباع الحاجات الضرورية للأفراد كالحاجة إلى الطعام والملبس والمسكن والأمن والرعاية، كما ركز على التربية، وبدونها تصاب الدولة بالانحلال، وذلك لأن أخلاق الأفراد وعاداتهم ومظاهر سلوكهم في كل مجتمع هي الكفيلة بأن تكون قوام الدولة.

لقد تميز أرسطو بجرأة أقل وواقعية أكثر من تفكير أفلاطون حيث رفض جمهورية أفلاطون وأنكر حكومة الفلاسفة، وأكد فقط على سيادة القانون لأنه نابع من العقل، واحترام سلطة العقل واجب مقدس، وهذا ما أكد عليه في كتابه "السياسة" حيث أكد من خلاله أن الإنسان حيوان سياسي، وقام بدراسة مقارنة حول الدساتير السياسية والمنظمات بوجه عام لجميع الدول الاغريقية وبعض الدول المشابهة لها مثل قرطاجة، وقد حاول دراسة الظواهر الاجتماعية مثل الظواهر الطبيعية.

وقد وضع ارسطو مجموعة من الاقتراحات التي كانت بمثابة قواعد هامة لخلق مدارس اجتماعية فيما بعد ومن أهم هذه الاقتراحات نجد[1] أن المجتمع عنده هو عبارة عن مخلوق حي خاضع لقانون الولادة والنمو والموت، وبالتالي هو خاضع لظاهرة التغير، كما أنه مكون من طبقات سياسية واجتماعية متباينة ينتج عنها التسلسل في المراتب وتقسيم العمل داخل المجتمع، وهذا بدوره يؤدي إلى التوازن داخل المجتمع.

2-4- الفكر الاجتماعي عند العرب والمسلمين:

يعتبر الدين الإسلامي السبب الأول في قيام العلوم عند العرب والمسلمين لحثه على ضرورة طلب العلم واستخدام العقل للتفكير فيما خلقه الله سبحانه وتعالى، وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي نبهت إلى ما يعرف في عصرنا الحالي بعلم الاجتماع نذكر منها :" قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين"[1] حيث يقول محمد رشيد رضا في كتابه تفسير المنار أن هذه الآية قد نبهت إلى أصل من أعظم أصول العلم التي تستفاد من السياحة واختبار أحوال الأمم وهو العلم بسنن الله في شؤون البشر العامة المعبر عنه في هذا العصر بعلم الاجتماع[2].

إلى جانب ذكره للكثير من الآيات التي تأمر المسلمين بالتمعن والتدبر في أحوال الحضارات السابقة وطرق عيشهم من أجل تجنب الأخطاء التي وقعوا فيها فعوقبوا على ذلك، وقد نبه القرآن إلى علم الاجتماع والعمران على سبيل الاستطراد لتذكير مسلمي هذا العصر بأن القرآن قد أرشد البشر إلى جميع وسائل سعادة الأمم والأفراد في أمري المعاش والمعاد.[3]

وهذا هو هدف علم الاجتماع حيث سعى علماؤه ومفكريه إلى إخراج مجتمعاتهم من المشاكل التي كانوا يتخبطون فيها حتى أصبح يقال أن المجتمع هو وليد الأزمات الاجتماعية، فكلما واجه المجتمع

---

[2] جوستون بوتول، **تاريخ علم الاجتماع**، ترجمة غنيم عبدون، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون سنة، ص 16.

[1] آل عمران، الآية 137.

[2] محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج 8، مطبعة المنار، مصر، ص 290

[3] نفس المرجع، ص 291.

مشكلات اجتماعية إلا ولجؤوا إلى مفكري هذا العلم ليجدوا حلولا لهذه المشكلات، بالتالي فعلم الاجتماع يسعى إلى البحث عن وسائل السعادة والرخاء للمجتمعات.

لقد امتثل العديد من علماء العرب والمسلمين للأوامر التي بلغتها آيات القرآن الكريم التي دعت إلى التدبر والتمعن في الاحوال والمعاش والعمران وراحوا يبحثوا في النظم الاجتماعية وتحديد نماذج البناء الاجتماعي لكل مجتمع مستخدمين في ذلك مناهج البحث في علم الاجتماع مثل الفرابي وابن طفيل وابن سينا وابن خلدون.

2-5- الأفكار الاجتماعية في العصور الوسطى الأوروبية

إن أهم مسألة شغلت مفكري العصور الوسطى هي مسألة علاقة العقل بالدين، أو العلم بالأيمان فاختلفت الاجابة عليها باختلاف الشروط التاريخية والاجتماعية، الا ان الأيديولوجية الرسمية للكنيسة هي التي كانت وحدها السائدة، التي تقول بإخضاع العقل والعلم للدين، بمعنى انه حتى المعرفة العلمية تستمد من الدين أو تنسجم مع تعاليمه ولا تتعارض معه، وأصبحت محاكم التفتيش الأداة الرهيبة في وجه علماء الطبيعة والمفكرين الاجتماعيين والسياسيين والاقتصاديين الذين حاولوا طرح افكار لا تنسجم مع تعاليم الكنيسة ،ومن أبرز فلاسفة العصور الأوروبية الوسطى نجد:

أ/ القديس أوغسطين (354م_ 430 م):

ولد في طاغاست (سوق اهراس حاليا) سنة 354م وتوفي في هيبون سنة 430م (عنابة حاليا) فترة انهيار الإمبراطورية الرومانية عندما اشتد الصراع بين روما الوثنية وروما المسيحية، فتولى سان أوغسطين الدفاع عن المسيحية وتحول من مدافع عن الدين الى مفكر اجتماعي سياسي، يعد كتابه " مدينه الله " من اهم كتب فلسفة التاريخ ، و بفضل هذا الكتاب أصبح أحد مؤسسي هذا النسق المعرفي الذي يبحث في مسار المجتمعات البشرية و أهدافها و قوانينها العامة.

وتتضح لنا مثالية أوغسطين من خلال مؤلفه مدينة الله عندما قسم بين مدينة الله ومدينة الانسان حيث تمثل الاولى الخير من خلال التفاني في حب الله والطاعة واحتقار الذات، والثانية تمثل الشر من خلال حب الشهوات وعبادة الذات، ومن هنا دعا أوغسطين كافة البشر إلى بناء مدينة الله على الأرض باختلاف ألوانهم وألسنتهم وذلك بنبذ العنف والقتل والحرب والدعوة إلى السلام والعدالة[1] .

تقوم فلسفة التاريخ على ان التاريخ العالمي هو عملية اقتراب تدريجي مستمر للدول الدنيوية من قوانين مدينه الله، وهاتان المدينتان تقتربان تدريجيا الى ان تتم وحدة الدين و السلطة الزمنية في نهاية التاريخ حيث تحقق غاية الحياة و معنى التاريخ.

يتبين ان النظام الاجتماعي في القرون الوسطى كان مبجلا دينيا و مبررا تاريخيا، ويصبح العالم مسارا اجتماعيا – دينيا هادفا الى تحقيق غرض او غاية رسمتها العناية الالهية المتمثلة في الحصول على الخلاص والاقتراب من الله، اذن التاريخ الانساني بكل ما فيه من ويلات هو تاريخ الخلاص والسرور

[1] جاستون بوتول، مرجع سابق، ص، ص 19-20

الالهي، واعتمدت الكنيسة على فلسفة التاريخ عند أوغسطين، فاذا كان هذا هو معنى التاريخ فكل النشاطات الدنيوية والعلمية يجب أن تخضع للغرض الديني الأسمى للإيمان.

2-6- عصر النهضة الأوروبية

عصر النهضة هو حركة ثقافية امتد لفترة **ثلاث مائة عام**، وتميز بازدهار الفن والعلم، ولقد نشأت النهضة الأوروبية في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وأواخر العصور الوسطى، في إيطاليا، وانتشرت في معظم أنحاء أوروبا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وكان لفكر عصـر النهضـة التأثير الأكبر على الحضارة الغربية منذ ذلك الحين، واتسم برفض قيم العصور الوسطى ومثلها المعنوية والاجتماعية والسياسية.

وقد اتخذ أولئك الناس الذين عاشوا في عصر النهضة من الثقافتين الإغريقية والرومانية القديمتين نموذجًا يحتذى كما أكدوا أهمية إنسانية الإنسان، ولقد أسهمت هذه الفلسفة لحد بعيد في ظهور مفهوم الديمقراطية، وتجديد الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي، وشهد عصر النهضة ظهور عدة شخصيات كان لها تأثير كبير في مجال الفن والعمارة والسياسة مثل **مايكل آنجلو** و**ميكيافيلي** ورسام الموناليزا الايطالي **ليوناردو دافنشي** الذي كان رجلا موسوعيا، وقد شملت معارفه الهندسة المعمارية وعلوم التشريح ومن بين مخترعاته الطائرات والمظلات والساعات، كما شهدت هذه الفترة اكتشاف بلدان وشعوب جديدة بفضل مجموعة كبيرة من الرحالة والمستكشفين بينهم الأمير **هنري** الملاح و**كريستوف كولومبوس** و**فاسكو دي كاما**، وفي حوالي عام 1440م اخترع الطابع الألماني **جوهانس جوتـنبرج** الطباعة بالحروف المعدنية المنفصلة، وقد أدى هذا إلى نشر أفكار مهمة.

أ/ عوامل قيام النهضة الأوروبية:

_ الظروف المناخية التي طبعت القارة الأوروبية والتي تراوحت بين الدفء والبرودة حيث أسهم ارتفاع درجة الحرارة في زيادة الانتاج الزراعي نتيجة جفاف الكثير من المستنقعات، وانتشرت بعض الزراعات مثل الكروم والخضروات، وهذا بين القرنين التاسع والثاني عشر ميلادي، كما شهدت القارة الأوروبية فترات صقيع وبرودة شديدة ففي القرن الرابع عشر للميلاد أدى استمرار هطول الأمطار إلى تدمير المحاصيل الزراعية وانتشار المجاعات و الأمراض مثل الطاعون، وهذا ما أدى بالمستكشفين الأوروبيين إلى البحث عن أماكن أكثر دفئا فتم اكتشاف العالم الجديد والدوران حول راس الرجاء صالح[1] .

_ وبنهاية القرن الخامس عشر، تم بناء المركب الشراعي ذي الصواري الثلاث بناءً على تصاميم عربية، وكانت حمولته تصل إلى ٤٠٠ برميل من البضائع، وكان أسرع بكثير من السفن القديمة.

_ بإدخال طرق ممارسة الأعمال التجارية العربية والإسلامية من خلال زياراتهم للأسواق والمراكز التجارية في جميع أنحاء شمال أفريقيا والشرق الأوسط وبلاد فارس.

_ فأوضح **فيبوناتشي** طبيعة الأرقام الهندية-العربية من 0 إلى 09 واستخدم الفاصلة العشرية وتطبيقها على المسائل التجارية العملية التي تشمل الجمع والطرح والضرب والقسمة، وقياس الأوزان والمقاييس، بالإضافة إلى المقايضة وتحصيل الفوائد وتبادل العملات، وبينما قد تبدو هذه الأمور بديهية اليوم، فإنه يجدر بنا أن نتذكر أن علامات الجمع (+) والطرح (−) والضرب (×) لم تكن معروفة في أوروبا قبل القرن الخامس عشر[1] .

_ الاستقرار السياسي الذي شهدته القارة الأوروبية في تلك المرحلة خاصة بعد انتهاء حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا سنة 1453.

_ ازدهار التجارة الدولية وخاصة بين شمال وجنوب أوروبا.

_ اكتشاف العالم الجديد أمريكا على يد كريستوف كولومبس

_ اختراع آلة الطباعة على يد الألماني جوهانس جوتـنبرج سنة 1450 التي ساهمت بشكل كبير في نشر الافكار والمفاهيم لعصر النهضة.

---

[1] أيوب أبو دية، علماء النهضة الأوروبية، دار الفرابي، بيروت، 2011، ص 17.

[1] جيري بروتون، عصر النهضة : مقدمة قصيرة جدا، تر: إبراهيم البيلي محروس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص 30.

_ظهور ما يسمى بالحركة الانسانية التي ساهم لشكل كبير في احياء التراث اليوناني والروماني القديم.

ب/ مميزات عصر النهضة.

1- النظرة التفاؤلية للإنسان بعد ما كان مصدر الشرور والخطيئة في العصور السابقة
2- ظهور النزعة الفردانية
3- الاصلاح الديني الذي قاده **مارتن لوثر** خاصة بتخليه عن الوساطة الأبوية بين الرب والمرء[2]
4- ظهور الحركة الانسانية وانتشارها
5- الاكتشافات العلمية في شتى المجالات.
6- حب المعرفة والاطلاع على المعارف السابقة خاصة عند الرومان واليونانيين والمسلمين.

2-7- علم الاجتماع في العصر الحديث:

نشأ علم الاجتماع الحديث في أواخر القرن الثامن عشر وذلك نتيجة للعديد من الظروف الاجتماعية والتي ساهمت في بلورة علم الاجتماع الحديث وصقل مبادئه ونظرياته.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى ظهور علم الاجتماع ثلاثة ثورات حدثت في أوربا خلال وهي:

أ/ الثورة الفرنسية:

ظهرت هذه الثورة في قلب المجتمع الفرنسي وامتدت من 1789 إلى 1814 حيث رفض المجتمع الفرنسي تلك الانساق الفكرية التي كانت سائدة أناذاك، وطالب بضرورة تغيير الاوضاع الاجتماعية والسياسية وخاصة الفكرية التي كانت تحت رحمة الكنيسة، وحسب **سان سيمون** فإن تلك الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية المزرية إنما مردها إلى خلل عقلي وبالتالي جاءت هذه الثورة الفرنسية لتحطيم وتدمير تلك الانساق الفكرية القديمة وتطبيق أنساق فكرية متحررة جديدة وبالتالي أدت الثورة الفرنسية حسب سان سيمون إلى تحرير العقل الأوروبي من اللاهوتيات والميتافيزيقيات [2].

لقد أدت هذه الثورة الفرنسية إلى تحولات جذرية عميقة في فرنسا ثم امتدت إلى باقي أنحاء أوروبا، وكان من نتائجها تدمير العادات القديمة والنظم العتيقة، التي حولت المجتمع الاوروبي طيلة عصور الظلام إلى حالة من الفوضى الاجتماعية والتفكك والقهر والظلم، هذا البناء الاجتماعي الذي ظل استاتيكيا خلال هذه الفترة وبالتالي كانت مطالب الثورة ضرورة احداث هزة ديناميكية داخل المجتمع الفرنسي، إن هذه الثورة كانت سببا في بلورة الفكر الاجتماعي، كما أنها أدت إلى ولادة علم الاجتماع الذي هو علم الثورة.

ب/ الثورة الصناعية:

على الصعيد الاجتماعي مثلت الثورة الصناعية التحول الأكبر في التاريخ على الصعيد العمراني بتحول غالبية سكان أوروبا لسكان مدن وعاملي مصانع، وحسب **دوركايم** أدت الثورة الصناعية إلى تغيرات جذرية داخل المجتمع الاوروبي حيث انتقل المجتمع الإنساني من **التضامن الآلي** إلى **التضامن العضوي** الذي يقابل المجتمع الحديث المتصف بالعلاقات الجزئية والجانبية المعتمدة على المصلحة الذاتية والوظيفية المهنية ولا يوجد أي أثر للأواصر القبلية أو القرابية، وفي ضوء ذلك تكون العلاقات

---

[2] نفس المرجع، ص 67.

[2] قباري محمد إسماعيل، أصول علم الاجتماع ومصادره ، مرجع سابق ، ص 125.

الاجتماعية سهلة الانحلال والانكسار، وهذا ما يفسر لنا أن الشعور الجمعي فيه ضعيف، وهذا ما يسهل على الفرد التعبير عن مواقفه الشخصية وحريته الفردية بكل حرية بدون مجاملة أو تردد.

هذه التحولات الجذرية ساهمت بشكل فعال في تطور وازدهار الدراسات الاجتماعية وتنوعها كذلك وظهر العديد من المنظرين الاجتماعيين الذين أثرو الدراسات الاجتماعية بنظرياتهم وأفكارهم لأن الثورة الصناعية أحدثت العديد من الظواهر الاجتماعية التي لم تكن معروفة من قبل وبالتالي أصبح المجتمع في ظل هذه الثورة الصناعية حقلا خصبا للدراسات السوسيولوجية.

ج/ الثورة العلمية:

لقد اسفاد علم الاجتماع كثيرا من الثورة العلمية التي حدثت في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، والذي من أبرز سماته تطور مناهج البحث العلمي واستقلال العلوم عن الفلسفة بالرغم من أن هذه المناهج كانت مقتصرة على العلوم الطبيعية فقط ثم تم نقلها إلى العلوم الانسانية والاجتماعية خاصة مع **دوركايم** عندما حدد خصائص الظاهرة الاجتماعية وقال لابد من دراستها كأشياء.

إن هذه الحالة الوضعية التي صاحبت نفس الفترة التي ظهر فيها علم الاجتماع استطاعت إمداده بالمناهج العلمية اللازمة لكي يستقل عن الفلسفة وإقامة الدراسات اللازمة من أجل النهوض بالمجتمع الاوروبي الذي كان يعاني كثيرا من المشكلات والخلل الذي أصاب بناءه وبالتالي لا يمكن إغفال دور الثورة العلمية في بلورة علم الاجتماع.

3_ رواد علم الاجتماع:

3-1- ابن خلدون1332-1406:

اشتهر ابن خلدون بدراساته العلمية حول الظواهر الاجتماعية التي وضعها في كتابه الموسوم ب"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وهو كتاب مؤلف من سبعة أجزاء، يبدأ بكتاب "المقدمة" التي وضع فيها ابن خلدون أفكاره وآراءه حول العمران البشري، وقام بتتبع أحول المجتمع الإنساني، وعوامل نشأته وقوته، إلى عوامل ضعفه واضمحلاله، كما درس بعض الخصائص الاجتماعية لمختلف الأصناف الاجتماعية، كالبدو وصفاتهم، والحضر وصفاتهم، والعلاقة القائمة بين هذه المجتمعات.

وانطلاقا من هذه الفكرة، اعتقد ابن خلدون أن المجتمع الإنساني يسير وفق قوانين محددة وثابتة، "فحوادثه مرتبطة بعضها ببعض، وأن المجتمع البشري شأنه شأن الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته وحتى وفاته، وكذلك يحدث للدول، وأن مسيرة المجتمع تغيرية دائرية، تبدأ وتنتهي من النقطة التي بدأت منها، وأن هذه الظاهرة - دورة المجتمع – مستقلة عن الإدارة الإنسانية، وقد أسهب ابن خلدون في تحديد أسباب التعاقب المنظم لدورة الظواهر العمرانية (الاجتماعية)"[1].

وقد استخدم ابن خلدون مفهوم "الدولة" عند دراسته للتغير الاجتماعي، واعتبرها كمؤشر للتغير الاجتماعي بدلا من القيم والمعايير والأسرة والقبيلة، وحسب ابن خلدون فإن الدولة تعيش عمرا محددا

[1] محمد عبد المولى الدقس، مرجع سابق، ص89.

مثل الإنسان يبدأ من الميلاد، ثم شباب، فالموت، وبالتالي فإن عمر الدولة لا يتعدى أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو متوسط عمر شخص واحد ويكون أربعون عاما، وبالتالي يكون عمر الدولة هو (120) سنة. وفي هذا يقول: "إن الدولة في الغالب لا تعدوا أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته"[2]. ويمثل كل جيل مرحلة من مراحل عمر الدولة، فالمرحلة الأولى تمثل النشأة والتكوين، أما المرحلة الثانية فتمثل النضج والاكتمال (القوة)، وتمثل المرحلة الرابعة الهرم والشيخوخة، وفيما يلي نقوم بعرض هذه المراحل على النحو التالي:

_ **مرحلة النشأة والتكوين:** تتميز المرحلة الأولى بالخشونة والعصبية والشجاعة، فهم لا يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال صورة العصبية محفوظة فيهم، وهي الأساس الذي يقوم عليه الاجتماع الإنساني وفق رؤية ابن خلدون، "ورغم الاختلافات العديدة بين الباحثين الاجتماعيين حول تفسير مفهوم العصبية، إلا أنها تعني على العموم الشعور الذي يحس به الفرد تجاه من يربطه وإياه من نسب، أو ما تقتضيه عوامل الحوار أو الولاء من ضرورة الدفاع عنه ضد الظلم، وهي أساس التغلب والتماسك بين الأفراد مما يؤدي إلى تقوية الدولة والملك"[2].

_ **مرحلة النضج والاكتمال:** وفي هذه المرحلة يتحول حال المجتمع من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف، ومن الاشتراك في المجد إلى الانفراد الواحد به، وكسل الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة في ذلك إلى الاستكانة فتنكسر صورة العصبية وتضعف بعض الشيء، وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أخوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية، فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم[1].

ويعتقد ابن خلدون أن المجتمعات حينما تتحول من البداوة إلى الحضارة، وتبدأ بالبحث عن الكماليات، والترف يبدأ الفساد يدب إليها، وهذا الفساد من مؤشرات الهرم "والهرم إذا نزل بدولة لا يرتفع عنها" وهذا ما أكده الدكتور محمود الكردي لقوله: "ويذهب ابن خلدون إلى أن المجتمع حينما يبدأ بالانتفاع بثمرات الحضارة ويأخذ في التحضر، يتطرق إليه الفساد وينتهي به الأمر إلى الهرم"[2].

_ **مرحلة الهرم والشيخوخة:** وهي مرحلة شيخوخة الدولة، وتوجهها نحو الزوال، لما يطرأ على العصبية من فساد، فينسون عهد البداوة والخشونة، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما فيه من النعيم ونضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة، ومن جملة النساء والوالدين المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويلبسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها، وهم في الأكثر أجبن من النسوان على ظهورها، فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى

---

[2] نفس المرجع، ص 90. نقلا عن: عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. دار مكتبة الهلال، بيروت،1983، ص34.
[2] نفس المرجع، ص 36.
[1] معن خليل عمر، مرجع سابق، ص .ص 34 .35 .
[2] محمود الكردي، التحضر: دراسة اجتماعية. دار المعارف، القاهرة، 1986، ص ص 34-35.

الاستظهار بسواهم من أهل النجدة، ويستكبر بالموالي وتصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت[3].

على هذا الأساس فسر ابن خلدون ظاهرة التغير الاجتماعي في الدولة، حيث تنشأ الدولة من خلال البداوة، وما تتميز به من خشونة وبأس وقوة، وعصبية، ثم بعد أربعين سنة تتبدل صفات المجتمع وتميل أكثر إلى الترف واللهو، والاتكال على الحاكم، وهنا تبدأ العصبية بالضعف والفتور، وتدوم هذه المرحلة أربعون سنة كذلك، وتبقى الأربعين سنة الأخيرة من عمر الدولة، تكون فيها هزيلة وضعيفة، بما آل الناس إليه من الجبن والضعف والاستكانة، فتصير غير قادرة على حماية نفسها من الأعداء، وهذا أحد مؤشرات فناء الدولة.

ونلاحظ من خلال تفسير ابن خلدون للتغير الاجتماعي أنه اعتمد على مفهوم العصبية في تطرقه إلى التغيرات التي تصاحب مختلف مراحل حياة الدولة وهي تعني (العصبية) "الشعور الذي يحس به الفرد تجاه من يربطه وإياه من نسب، أو ما تقتضيه عوامل الحوار أو الولاء من ضرورة الدفاع عنه ضد الظلم، وهي أساس التغلب والتماسك بين الأفراد مما يؤدي إلى تقوية الدولة والملك. وكلما كانت هذه خاصية الاجتماعية قوية في المجتمع كانت الدولة قوية، وإذا بدأت العصبية بالضعف والفتور داخل المجتمع، ضعفت معها الدولة، وإذا زالت، زالت معها الدولة، وهذا ما أكده المفكر الجزائري مالك بن نبي بقوله: "إننا نلتمس التغير عبر مراحل تكون العصبية وقوتها وضعفها، والمتمثلة في المحرك الأساسي لتكوين السلطة واستمرارها وهرمها، والانتقال من وضعية اقتصادية واجتماعية بسيطة إلى وضعية معقدة من البدو إلى الحضر، بوصف الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لكل وضعية بما في ذلك التحول التقني المادي وكذلك القيمي لها، وكل ذلك عبر مراحل زمنية"[1].

ونستخلص في الأخير من خلال نظرية ابن خلدون حول التغير الاجتماعي، أنه توصل إلى العديد من القوانين التي تتحكم في عملية التغير الاجتماعي كالعصبية مثلا، وهي قوانين خاصة بالمجتمع الذي عاصره وعاش، وهو يحمل خصائص نابعة من الظروف التي كانت سائدة في ذلك الوقت أي حولي القرن الرابع عشر، حيث يرى محمود الكردي أن "ما يؤخذ على آراء ابن خلدون عامة، أن النتائج التي توصل إليها لا تنطبق إلا على المجتمعات التي شاهدها في رحلاته، أو عاش بها واستقر"[2]، ولذلك لا يمكن أن نجعل القوانين الاجتماعية ثابتة لا تتبدل بتبدل الأحول والأزمنة والأمكنة، وإذا كنا نسلم بدورة الحياة والتغير التي جاء بها، فإنه علينا كذلك أن نسلم بالتبدل الذي يطرأ على القوانين التي تحكم المجتمع، فإذا كانت العصبية أساس التغير الاجتماعي في عهد ابن خلدون، فإن أساس التغير الاجتماعي في عهدنا هو التكنولوجيا وليس العصبية، "كما أن قانون العصبية لا يصدق إلا على شعوب العرب والبربر والشعوب التي تشبهها في التكوين والنشأة والظروف، ويشهد التاريخ بأن هناك دولا كثيرة (صغيرة وكبيرة) قد تكونت وازدهرت دون أن يكون للعصبية أو لروح القبيلة دخل في نشأتها وبقائها"[1].

كما أن مسألة عمر الدولة الذي حدده ابن خلدون بمئة وعشرون عاما لا أساس له من الصحة، فقد دل التاريخ قديما وحديثا أن هناك دولا عاشت وما تزال تعيش لمئات السنين، وهي لا تزال في أوج قوتها

---

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة. مرجع سابق ، ص .ص 170. 171.
[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة . ترجمة شاهين عبد الصبور، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 98.
[2] محمود الكردي، مرجع سابق، ص 35.
[1] نفس المرجع السابق، ص 35.

وهيمنتها على باقي الدول الأخرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا، ولا علاقة للمراحل التي ذكرها ابن خلدون في ذلك من شيء، بفضل المكاسب التي تحققت عند هذه الدول من خلال النظام الديمقراطي وسياسة التداول على السلطة، وليس من الضروري أن تكون هناك علاقة بين التحضر والفساد، "إذ غير المنطقي أن نربط بين عملية التحضر التي يمر بها المجتمع، وحالة الفساد التي يراها ملازمة لذلك الأمر الذي ينتهي بها حتما ـــ طبقا لرأيه ـــ للهرم والاضمحلال والزوال"[2].

2-3- أوجست كونت (Auguste Comte): (1798_1857)

أوغست كونت عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية، و هو " يعتبر تلميذا لـ سان سايمون وهو فيلسوف فرنسي.

لقد كان تفكير كونت انعكاسا للأحداث المضطربة التي اتسم بها عصره، فقد أدخلت الثورة الفرنسية تغييرات مهمة على المجتمع، وقد كان التصنيع المتنامي قد بدأ بتعديل أساليب الحياة التقليدية للفرنسيين. ومن هنا أراد "كونت" أن يضع علما جديدا لتفسير القوانين التي تحكم وتنظم حياة العالم الاجتماعي، وحسبه فإن لكل علم موضوعه الخاص به، إلا أن جميع هذه العلوم ينظمها منطق واحد، وتتحرك وفق منهج علمي يهدف إلى كشف النقاب عن قوانين شاملة[1].

وقد أكد ذلك من خلال تقسيمه للدراسة السوسيولوجية، إلى السوسيولوجيا الستاتيكية (البناء الاجتماعي) والتي أراد من خلالها إظهار ما دعاه بالنظام بأنه يتفق عليه أعضاء المجتمع، وسوسيولوجيا الديناميكية (التغير الاجتماعي) التي تهتم بالتقدم فإنه من ناحية هذه الأخيرة أظهر تغير المجتمعات وتقدمها حسب قانون الأحوال الثلاث وأكد بذلك على عامل تطور التفكير البشري.

ويرى كونت من خلال قانون الأحوال الثلاث، أن المجتمعات الإنسانية قد مرت بثلاث أطوار وهي: اللاهوتية، الميتافيزيقية، والوضعية، ففي المرحلة اللاهوتية كان الفكر الإنساني مسيرا بالأفكار الدينية وبالاعتقاد بأن المجتمع ما هو إلا تعبير عن إرادة الله. وفي المرحلة الميتافيزيقية التي تصدرت الفكر البشري في فترة عصر النهضة الأوروبية، بدأ الناس ينظرون إلى المجتمع في إطاره الطبيعي، لا باعتباره ناجما عن قوى فوق الطبيعة. أما المرحلة الوضعية التي دشنتها الاكتشافات والانجازات التي حققها "كوبرنيكوس" و"غاليليو" و"نيوتن" فقد اتسمت بتشجيع تطبيق الأساليب العلمية لدراسة العالم الاجتماعي.

ووفق هذه الوضعيات الثلاث التي ذكرها "كونت" فإن المجتمع ينتقل من مرحلة إلى مرحلة وفق خط متصاعد إلى الأمام، لذلك حاول "كونت" أن يصنع معالم الوضعية القادمة لتكون أحسن من سابقاتها، فقد أبدى خوفه الكبير من انعدام المساواة والطبقية التي خلفتها الثورة الصناعية، والخطر الذي يمثله التفاوت على التماسك الاجتماعي، وانتشار مظاهر الفردانية والتفكك الاجتماعي، وغيرها من المشكلات التي خلفها التصنيع. وبالتالي يكمن الحل حسبه في الوصول إلى اجتماع أخلاقي من شأنه أن ينظم المجتمع

---

[2] نفس المرجع، ص 35.

[1] أنتوني غيدنز، مرجع سابق، ص ص 61 . 62.

أو يعزز أواصر العلاقات فيه رغم بروز الأنماط الجديدة من عدم المساواة. "ورغم أن رؤية "كونت" لإعادة بناء المجتمع لم يقدر لها التحقق والنجاح، إلا أن إسهامه في تنظيم علم المجتمع وتوحيده كان ملهما للجهود التي قامت بعده لوضع الأسس المهنية لعلم الاجتماع باعتباره منهجا أكاديميا"[1].

3-3- دوركايم (Emil Durkheim) 1858-1917:

إميل دوركايم فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجا خاص به يقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره

في تقسيم العمل الاجتماعي ,De la division du travail social

وقواعد المنهج السوسيولوجيLes Règles de la méthode sociologique

حسب دوركايم يتغير المجتمع الإنساني من التضامن الميكانيكي إلى العضوي. إذ وصف حالة التضامن الميكانيكي معبرا عن الشعور الجمعي الذي يصف مفهوم (نحن) لأن كافة أفراده متجانسون عقليا وأدبيا، ومشتركون في معتقدات واحدة، ومتجانسون اجتماعيا، وعندهم تقسيم عمل قائم على العمر والجنس المتصف بالبساطة والمتضمن علائق اجتماعية منسوجة من خلال الروابط القرابية المتصفة بالمتانة التي لا تحل ولا تنكسر. بذات الوقت يخلق بين حاملي هذه العلاقات شعورا جمعيا قويا وولاء للضمير الاجتماعي الأمر الذي لا يفسح المجال عندهم للتعبير عن حريتهم الفردية أو مواقفهم الشخصية[2].

بعد هذه المرحلة ينتقل المجتمع إلى مرحلة جديدة تتصف بالتضامن العضوي الذي يقابل المجتمع الحديث المتصف بالعلاقات الجزئية والجانبية المعتمدة على المصلحة الذاتية والوظيفية المهنية ولا يوجد أي أثر للأواصر القبلية أو القرابية، وفي ضوء ذلك تكون العلاقات الاجتماعية سهلة الانحلال والانكسار، وهذا ما يفسر لنا أن الشعور الجمعي فيه ضعف كبير، وهذا ما يسهل على الفرد التعبير عن مواقفه الشخصية وحريته الفردية بكل حرية بدون مجاملة أو تردد.

وقد بين دوركايم انتقال المجتمع من المجتمع التقليدي المبني على التضامن العضوي إلى المجتمع الصناعي المبني على التضامن الميكانيكي عن طريق التقدم في تقسيم العمل، وأرجع عملية تقسيم العمل إلى العامل الديموغرافي بحيث لاحظ أن بكثرة الأفراد في المجتمع، يمارس بعضهم على البعض تأثيرا يجعلهم يتفاعلون بقوة وسرعة أكثر، مما يجعل الحياة الاجتماعية تتكاثف بتقسيم العمل، يكون ذلك التكيف معبر عن درجة تعقيد المجتمع وبالتالي عن الحضارة[1].

من خلال الطرح السابق يفسر "دوركايم" التغير الاجتماعي من خلال انتقال المجتمعات الانسانية من الحالة الميكانيكية إلى العضوية من خلال التخصص وتقسيم العمل، ويواكبه في ذلك تغيرات في الأدوار القيم والعلاقات الاجتماعية وحتى في نمط الحياة، أي في البناء الاجتماعي، وينتقل المجتمع من حالة التجانس إلى حالة اللاتجانس، وبالتالي فإن المجتمع الإنساني يسير وفق مراحل تحددها العوامل

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 63.

[2] خليل عمر معن. مرجع سابق، ص 225.

[1] فتيحة حراث. "التغيرات الطارئة في الأسرة الجزائرية بين القيم التقليدية وقيم العصرنة"، رسالة دكتوراه، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، ص 29.

المادية وليست الأخلاقية كما يذهب إلى ذلك ماكس فيبر (Max weber) وكلما ازداد التعقيد في العمل ازدادت العلاقات الاجتماعية أكثر تعقيدا وانتقل المجتمع بذاك من حال إلى حال أكثر تعقيدا.

3-4- كارل ماركس(Marx) 1818-1883: كارل هانريك ماركس، فيلسوف ألماني، واقتصادي، وعالم اجتماع، ومؤرخ، وصحفي واشتراكي ثوري. لعبت أفكاره دورًا هامًا في تأسيس علم الاجتماع وفي تطوير الحركات الاشتراكية. واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ. نشر العديد من الكتب خلال حياته، أهمُها **بيان الحزب الشيوعي**، و **رأس المال** وبالرغم من أن ماركس مثله مثل "أوغست كونت" و"إميل دوركايم"، كان يسعى إلى تفسير التغيرات التي كانت تطرأ على المجتمع الأوربي خلال الثورة الصناعية إلا أنه يختلف معهم في الأفكار التي طرحوها بصورة كاملة. وقد ارتبطت أهم التغيرات في نظره بتطور الرأسمالية التي تشكل بطبيعتها نظاما طبقيا يتميز بالصراع والاستغلال، وهذا ما يؤدي في نظره إلى التفاوت واللامساواة والتفكك والعديد من المشاكل الاجتماعية.

ويرى ماركس أن الأصول الرئيسية للتغير الاجتماعي لا تكمن فيما يحمله الناس من أفكار وقيم. بل إن حوافز التغير الاجتماعي تتمثل في المقام الأول في المؤشرات الاقتصادية والصراع الطبقي التي تدفع إلى التطور التاريخي لأنها "محرك التاريخ"، وبعبارة "ماركس": "فإن التاريخ البشري برمته حتى الآن هو تاريخ الصراع بين الطبقات"[1]. ورغم أن ماركس ركز أكثر اهتمامه على الرأسمالية والمجتمع الحديث، إلا أنه استقصى وتتبع أطوار نمو المجتمعات على مر التاريخ، فالنظم الاجتماعية في نظره تنتقل من نمط انتاج إلى آخر بصورة تدريجية أحيانا، وعن طريق الثورة أحيانا أخرى نتيجة للتناقضات الكامنة في اقتصاداتها.

وحدد ماركس ملامح التقدم في المراحل التاريخية التي بدأت بمجتمعات الصيادين والحصادين، أو ما سماها بالبدائية الشيوعية، وانتقلت عبر نظم العبودية القديمة، ونظم الإقطاع القائمة على تقسيم العمل بين ملاك الأراضي والعمال، وكان التجار والحرفيين مؤشرا على بداية نمو الطبقة التجارية أو الرأسمالية التي أخذت تحل مكان ملاك الأراضي من النبلاء، ووفق هذه النظرة انتقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، واعتقد "ماركس" أن نظاما جديدا سيحل بدلا من النظام الرأسمالي بالطريقة نفسها التي اتحد بها الرأسماليون للإطاحة بالنظام الإقطاعي، وذلك من خلال الثورات العمالية التي ستقوم بتغيير النظام الاقتصادي الرأسمالي القائم على الطبقية، إلى نظام جديد قائم على العدالة والمساواة بين الطبقات[2].

ومن خلال دراسته المعمقة للتطور التاريخي، واهتمامه الخاص بمصدر تطور المرحلة الرأسمالية وتبيانه مدى تأثير الصراع الطبقي في أحداث الحركات الثورية والتحولات في بنية المجتمع، أرجع "ماركس" المحدد الأساسي لتغير بنية الطبقات هو العامل الاقتصادي، وجعل منه العامل الحتمي ولم يجعل منه محددا للعلاقات الاجتماعية فقط، بل جعل منه محددا كذلك للثقافة، ثم عمم حتمية العامل الاقتصادي لكل البنى الاجتماعية، "ظروف الانتاج مرتبطة بمرحلة محددة لتطور القوى المنتجة المادية، ومجموع هذه العوامل الناتجة، تشكل البنية الاقتصادية للمجتمع والقاعدة الحقيقية التي تقوم عليها البنية الفوقية، القانونية والسياسية المرتبطة بقوى الوعي الاجتماعي المحددة، فطريقة انتاج الحياة الاجتماعية تحدد حتما الحياة الاجتماعية والفكرية بصفة عامة"[3] وبذلك يعلن **"ماركس"** صراحة، أن العامل الاقتصادي هو المحرك الأساسي لمختلف البنيات الاجتماعية أو كما يدعوها "بالبنية الفوقية" وهو المحدد لها، وكلما تغيرت طبيعته عبر المراحل التاريخية، تغير بموجبها المجتمع.

ومن خلال هذه الأفكار الماركسية نستنتج أن العامل الاقتصادي هو أساس التغير الاجتماعي على مر التاريخ عند ماركس، وكانت المجتمعات الإنسانية تنتقل من حال إلى آخر عن طريق انتقال النظام

---

(1) أنتوني، غيدنز. مرجع سابق، ص 69.

(2) نفس المرجع، ص ص 69- 70.

(3) فتيحة حراث، مرجع سابق، ص 31.

الاقتصادي من مرحلة إلى أخرى، من مرحلة الصيد إلى الإقطاع إلى الرأسمالية، ثم إلى الاشتراكية، الذي سيؤول إليه النظام الاقتصادي الجديد وهو انتقال الملكية من الفردية إلى الجماعية، ويكون الانتاج أكثر تقدما وكفاءة مما هو عليه في ظل النظام الرأسمالي، وسينشأ مجتمع أكثر إنسانية من ذاك الذي نعرفه وتتغير الأوضاع الاجتماعية ونمط الحياة، وهكذا يتغير المجتمع الانساني من وضعية اجتماعية إلى أخرى، وكلما كان النظام الاقتصادي أحسن كان التغير الاجتماعي ينتقل إلى وضع أحسن.

3-5- ماكس فيبر (Max Weber): (1864-1920)

عالم ألماني وهو ابن عائلة من الصناعيين وتجار الجملة وأصحاب مصانع النسيج، كما كان شاهدا على التحولات الاجتماعية الناجمة عن الثورة الصناعية، ويعد "ماكس فيبر" من بين علماء الاجتماع الأكثر شهرة في علم الاجتماع نظرا للإسهامات الكبيرة التي قدمها في خدمة هذا العلم، بالرغم من غيابه الباكر قبل أن يكمل معظم أعماله التي من أشهرها "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الذي يعد إسهاما كبيرا في علم الاجتماع خاصة أن المنهج المستخدم فيه هو المنهج الاستدلالي البرهاني الجديد.

لقد اهتم ماكس فيبر كثيرا بالعوامل الاجتماعية التي أدت إلى انتشار الرأسمالية قديما وحديثا، وفي دراسة حول عوامل نمو الرأسمالية عند الكونفوشية والطاوية والبوذية والهندوسية والبروتستانتية واليهودية، "أكد أن الرأسمالية التي هي أساس التغير لا تتطور بمعزل عن توافر الشروط المادية، وعن الاستعداد الروحي والعقلي، وهذان العاملان هما أساس التغير والحراك الاجتماعي حسب فيبر، وقد جسدتهما الرأسمالية الغربية في صورة النموذج المثالي له"[1].

ويرى فيبر، بأن روح الرأسمالية ليست حديثة النشأة، فهي وجدت عبر مراحل تاريخية، في العصور القديمة والقرون الوسطى، وفي مجتمعات مختلفة كالصين ومصر، لكنها لم تعرف في المجتمعات السابقة تحقيقا متميزا، مثل الذي عرفته في المجتمع الأوروبي الحديث، لأن النظرة الدينية في تلك العصور لم تتميز بالعقلانية في التنظيم الاقتصادي الذي عرفه المذهب الكلفيني، والذي كان هو المحرك الأساسي للأفكار الاقتصادية المرتبطة بالتنظيم الرأسمالي.

وفي سياق تحليل أوجه الشبه في بعض الظروف المادية بين الشرق والغرب، وتحليل الفارق الأساسي في التطور، لاحظ **فيبر** أن سبب عدم نمو الرأسمالية في الصين القديمة، وذلك بالرغم من توافر الشروط المادية القديمة، ووجود نظام نقدي وتوسع ديموغرافي، هو ذلك الإطار الصارم والجامد في العادات والطقوس الناتج عن النزعة المحافظة التي تنطوي عليها الكونفوشية، بمعنى غياب عامل الاستعداد الروحي والعقلي الذي هو أساس التغير حسب فيبر[1].

وفي تفسيره لظاهرة التغير الاجتماعي رأى "فيبر" أن النمو الاجتماعي يسير وفق شكل دائري، أما النمو الثقافي فيسير وفق شكل مستقيم، فالنمو الاجتماعي دائما ما يصل إلى نقطة في أثناء تطوره، حيث يفقد البناء القديم لشرعيته ويغيب عامل الاستعداد الروحي والعقلي، ومن ثمة يتولى قائد عملية بناء جديد،

---

[1] لوران فلوري، ماكس فيبر. ترجمة محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، . بيروت، 2008، ص 57.
[1] نفس المرجع السابق ، ص 57.

ويستقر النظام الجديد حين يتحول تطوه إلى روتين، وبمرور الزمن يفقد هذا النظام شرعيته، ثم تتاح له الفرصة إلى قائد مجدد وهكذا تكون دورة التغير الاجتماعي[2].

من خلال عرض مختلف الأفكار التي جاء بها "ماكس فيبر"، نلاحظ أنه ركز على عاملين أساسيين في عملية التغير الاجتماعي، هما الشروط المادية والاستعداد العقلي والروحي، كما أن الأفكار الطقوسية والجامدة لا تساعد على التغيير، ويعتبر "فيبر" أن الدين يعتبر من المصادر الأساسية للقيم الأخلاقية التي هي من بين الاستعدادات الروحية والعقلية، وبالتالي للدين دور كبير في عملية التغير الاجتماعي كما يرى "فيبر".

[2] إس سي، دوب، التغير الاجتماعي. ترجمة عبد الهادي الجوهري، دار زهراء الشرق، القاهرة، 1986، ص 76.